

المحاضرة رقم 01: التكيف المدرسي و المهني

مقدمة:

- الإطار المفاهيمي:
- المفاهيم المرتبطة بالتكيف
- مجالات التكيف

البعد النفسي رقم أساسي في معادلة التحصيل الدراسي. أن أي خلل يحصل على مستوى الذات المتعلمة فإن ذلك يعني حتماً احتمالية وقوع المتعلم في دائرة الفشل الدراسي؛ ومن ثم فإن المتعلم التي يتمتع بدرجة عالية من الصحة النفسية يكون أكثر حظاً للنجاح، في حين أن المتعلم الذي تتمثل لديه أنه لا يمتلك المهارات التي تؤهله حتى يحقق ذاته ضمن المجموعة المتعلمة، لن يستطيع التقدم ولو بخطوة نحو دائرة النجاح. وعليه فإن أحد مرامي التي يجب تسعى المدرسة إلى تحقيقه. هو إيجاد الآليات لرفع من المنسوب المهاري للمتعلم وقطع الطريق أمام الفشل والعوامل المحبطة للذات المتعلمة.

1. الإطار المفاهيمي:

1.1. التكيف اللغة: يقصد به التآلف والتقارب وهي نقيض التخالف، التنافر والتصادم. (فهي مصطفى: 1987)

2.1. التكيف إصطلاحاً. عرفه Gordon بأنه محاولات الفرد لتحقيق نوع من العلاقات الثابتة والمرضية مع البيئة. [Gordon, H.E, 1963] وعرفه Carret بأنه العلاقات بين رغبات الفرد وحاجاته وبيئته [Carrett, H. E, 1970,]؛ كما عرف على أنه عملية يصبح الفرد فيها أكثر تلاءماً مع ظروف عملة أو تعلمه. [James, 1965, Dreyer].

3.1. معنى البيولوجي التكيف: Adaptation: أول من أثاره هو العالم، صاحب نظرية التطور "داروين" 1859؛ الذي توصل من خلالها، أن الكائنات الحية التي تمكنت من الإستمرار، هي التي يمكنها التواءم مع مختلف الأخطار وصعوبات العالم الخارجي [الهابط: 2003]

وفي هذا التعريف إشارة؛ إلى أن التأقلم والتكيف هو الية يعتمدها الجسم الحيوي لإيجاد حلول تمكنه من الإستمرار وقد جهز الجسم بنظام ليفي بهذا الغرض، وهو جهاز Homéostasie والذي يتمثل دورها في ضبط الجهاز الفيزيولوجي في حالة وجود تهديد أو عدم إشباع حاجة بيولوجية (Ganzel et all 2010)، و استحدث البيولوجيون الجدد مفهوم آخر لعملية تقوم بعامل الوساطة بين الجهاز العصبي وأعضاء الجسم حيث تقوم بعملية توافق بين متطلبات الجسم وبين المثبرات الخارجية. وتدعى هذه العملية بـ Allostasie. (Sterling & Eyer, 1988).

4.1. معنى التكيف من المنظور النفسي: وهو عملية دينامية بواسطتها، يتمكن الفرد من إشباع مختلف حاجاته، متخطياً مختلف العوائق التي تحول دون ذلك. ومن ثم يتضمن التكيف تغيرات في سلوك الكائن الإنساني يستطيع بها أن يوجه إستجابات للظروف البيئية المختلفة التي تواجهه أو يعيش في كنفها وتلك التغيرات تتسم بالمرونة في مواجهة مطالب وظروف المجتمع المتغيرة [السيد عبد الحليم 1990].

5.1. المعنى الإجتماعي للتكيف: عرفه Good؛ بأنه العملية التي يحاول بها الفرد صيانة أمنه وراحته ومزنته وتوجهاته المبدعة في مواجهة أي تغيير في الظروف المحيطة به؛ وملائمة تلك البيئة للحالة أو الظروف من خلال هذه الجهود. [النواف: 1978]

كما يعرف على أنه: القدرة على العمل المنتج الفعّال الذي يجعل من الفرد؛ شخصاً نافعاً في محيطه الاجتماعي [الشيخ يوسف:1966]

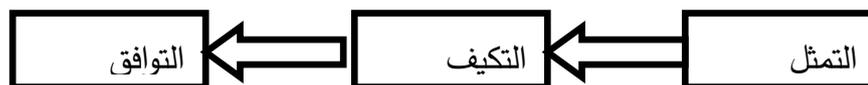
كما يعرف على أنه: قدرة التي يتمتع بها الأفراد والجماعات على أن يكتفوا سلوكهم لمواجهة ما يطرأ على المجتمع من تغيير، وتبعاً لهذا يجب عليهم؛ أن يغيروا بعض عاداتهم وتقاليدهم؛ عن طريق تقييم جديد. [العززي:1998]

6.1 – معنى التكيف من منظور علم الأعصاب: للجهاز العصبي دور في تكيف الفرد ، بحيث حين يتلقى الجهاز العصبي المعلومة التي تأتيه من الخارج ، يقوم الجهاز بمعالجة المعلومة. حيث تعاد هذه المعلومات في شكل تعابير غير لفظية ، الجسد هو من يتولى بهذه المهمة ، كالوجه مثلا ، حين تظهر عليه مؤشرات دالة على الغضب أو السرور. أو لفظية كالصراخ أو البكاء وشيء آخر. [Kubuta et al 2012].

6.1. المعنى التربوي للتكيف: حسب (G.Mialaret 1991): التربية هي فعل ممارس على ذات أو مجموعة ذوات بما هو موافق عليه؛ ومطلوب من هذه الذوات أو الذوات؛ ويهدف هذا الفعل إلى إحداث تغيير عميق في الذات حتى تنشأ لديها لديها طاقات حية جديدة ويصير هؤلاء أنفسهم عناصر حية لهذا الفعل الممارس عليهم. [Mialaret,1991].

و عند شارل حجي (Charles Hadji 1992): هو فعل ممارس على فرد أو مجموعة من الأفراد ، بهدف تشكيل سلوك الأشخاص المعنيين وتوجيهه نحو الإتجاه المرغوب.

7.1. المعنى الديدانكتيكي للتكيف. الديدانكتيك هي الدراسة العلمية لطرق التدريس وتقنياته ولأشكال مواقف التعلم التي يخضع لها التلميذ في المؤسسة التعليمية؛ قصد بلوغ الأهداف المسطرة مؤسسيا؛ سواء على المستوى العقلي أو الوجداني أو الحسي الحركي ، وتحقيق لديه ، المعارف، الكفايات ، القدرات، الإتجاهات و القيم. [الدريج:2011]. ومن هنا أن الديدانكتيك هي عملية فنية وعلمية تساعد الفرد المتعلم على تمثل المعارف وان هذه المعارف التي تمثلها المتعلم كانت بفضل توفر سياق سوسيوثقافي، سيستخدمها لاحقا كنسق معرفي لفهم ما يحيط به من أحداث. ويتفق برونرو وبياجيه على فكرة أن ما يحصل في العقل يجب أن يكون قد تم بناؤه من قبل الفرد المتعلم عن طريق المعرفة والاكتشاف مع التركيز على عملية التمثل (Assimilation) والتكييف (Acommodation) للمعرفة. ذلك أن استعمال آليتي التمثل والتكيف يقودان إلى التوافق.



2. بعض المفاهيم المرتبطة بالتكيف.

1.2. التوافق: التكيف كمفهوم يتضمن معنى التوافق ، بل عند الكثير من العلماء، هما وجهان لعملة واحدة؛ وإن كان cattel؛ قد أشار إلى وجود فرق بينهما ، بحيث يرتبط التكيف لديه بالبعد الاجتماعي و ذلك نظرا لتأثر السلوك بالمحيط الاجتماعي والعوامل الخارجية ، ولم يهتم بتأثير العوامل والصراعات

الداخلية في خلق إستجابات متكيفة. أما التوافق فيشير إلى حسن النظام الداخلي الذي يؤدي إلى التكيف. [ولجراف:2007: ص 29] ويرى البعض، أنّ التكيف يرتبط بالجوانب الجسمية لدى الكائن الحي، بينما يرتبط التوافق بالجانب الاجتماعي، أي ما يخص الإنسان دون الحيوان (شريت: 2006: 129) إلا أنّ Lazarus قام بوضع حد للجدل؛ معتبرا التوافق والتكيف مفهوميين قريبين عن بعضهما البعض؛ إذ اعتبر التوافق " سلوك الفرد إتجاه الضغوطات الاجتماعية الشخصية التي تؤثر بدورها على التكوين و التوظيف النفسي له (الخالدي:2009: ص 100)

2.2. التواءم أو المواءمة: هي العنصر الثاني لعملية التكيف وهي عكس التمثل، وتعني تعديل التراكيب أو البنى العقلية حتى يمكن للمعلومات التي لا تتسق مع البنى القائمة للتكامل معها أو

فهمها. [Dwartzky & Davis,1989,p 40]. و المواءمة؛ هي قيام الفرد بعملية تعديل بناه العقلية لتتلاءم مع مثيرات البيئة المحيطة [Aiken et All ;1997;P190]

كما أعتبرها البعض الاخر على أنها مجموعة التغيرات و التبدلات الحاصلة في داخل الكائن الحي تجاه المثيرات والضغوط المتأتية من الخارج. [منصور:1991: ص 249]

3.2. التمثل: هي عملية يقوم من خلال الفرد بإدخال الأحداث الخارجية و الخبرة و يقوم بتوحيدها مع أنظمتها القائمة بالفعل. أو عملية تلقي الخبرات الجديدة و المدركات الحسية بطريقة تكون متوافقة مع الفهم الحالي للعالم. أو هي عملية إذماج الموضوعات الجديدة أو الخبرات الجديدة في المخططات العقلية القائمة. [عبدالفتاح:1997: ص25]; [Dwartzky & Davis,1989; p 40]

و التمثل ما هو إلا محاولة تمثل العالم المحيط بالفرد و دمجها في الأبنية المعرفية السابقة، و هو عملية نشطة بالتحليل والإدراك المنطقي على أساس أنها محاولة لدمج الخبرة مع أنساق معرفية موجودة. [Aiken et All ; 1997: p 190] [عيسى:2002: ص 158].

4.2. التنظيم: هو إتساق بين التفكير والأشياء؛ إن التفكير ينظم نفسه عندما يتكيف مع الأشياء، و أنه إذا نظم نفسه بنفسه فإنه ينظم الأشياء في الوقت ذاته. [بياجيه:1954: ص.ص 16،17].

5.2. الموازنة أو التوازن: هي عملية تقديمية ذات تنظيم ذاتي تهدف إلى تكيف الطفل مع البيئة وذلك من خلال البحث عن توازن بين المخططات المعرفية والمعلومات والمثيرات في البيئة. [Woolfolk ; 1987; p54]

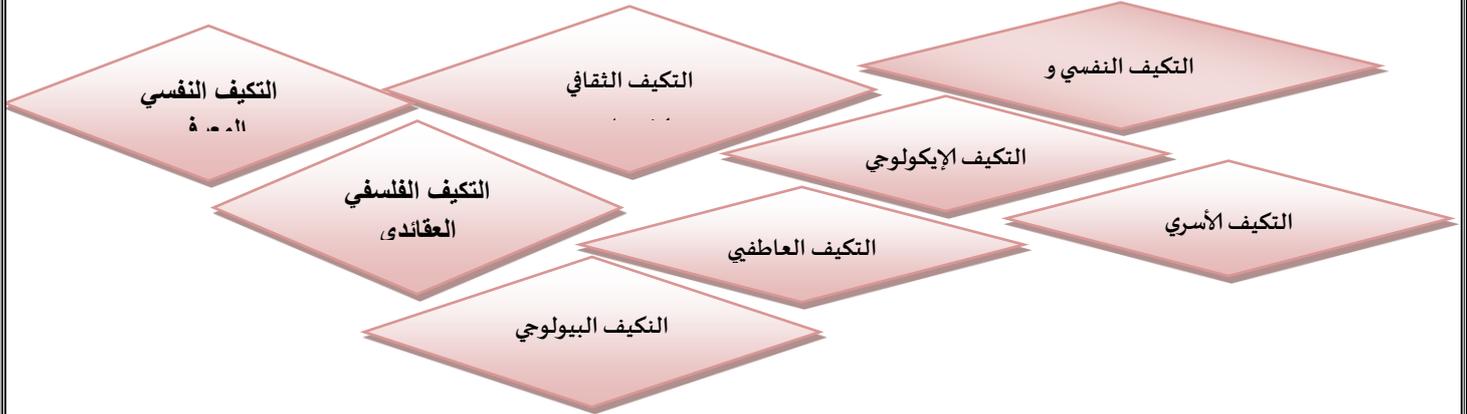
6.2. النقل الاجتماعي: يشير النقل الاجتماعي؛ إلى تفاعل الفرد مع الآخرين الذين يشاركونه الفضاء والقيم وحتى الأفكار

، هذا التفاعل يكسبه الخبرة الاجتماعية و التفاعل الاجتماعي؛ من منظور بياجيه؛ ضروري لبناء البنى العقلية. فالطفل في سنواته الأولى، يكون شديد الذاتية و تكون عملياته ذات دلالة فردية، ويرى الأشياء

من زاوية ذاتية فقط. فيرى أنه دائما على صواب، إلا أن ذاتية الطفل تزول بالتدرج؛ حين يبدأ بالإحتكاك و التفاعل مع الآخرين. [محمد: 1991: ص.ص.57.58].

02. مجالات التكيف: الشكل التالي يبين مجالات التكيف :

مجالات التكيف



الشكل رقم (01): مجالات التكيف

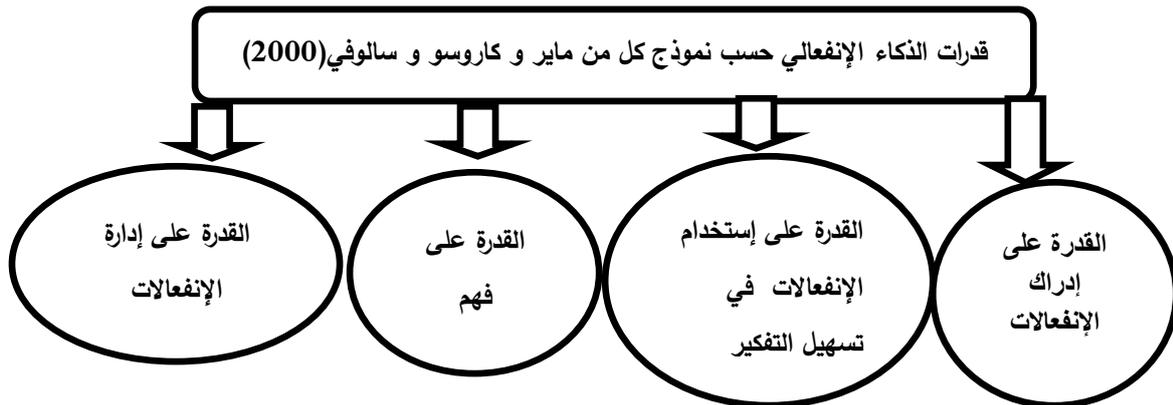
من خلال الشكل رقم 01؛ يتضح ان التكيف بمفهومها الشامل؛ يتعدى المجال النفسي؛ بل يشمل باقي المجالات؛ لأن كفاءة الفرد النفسية تقاس بمدى قدرته على التفاعل الإيجابي في مختلف المجالات أو المواقف التي يتواجد فيها. ففي المجال الذاتي أو النفسي قد لا يجد الفرد ما يعينه على تحقيق ذاته ضمن المجموعة التي ينتمي، مثلا؛ كعجزه على قدرة التواصل نتيجة عدم إمتلاكه لكفاءة التواصل. أو لعدم قدرته التعبير الشفهي عن بعض مواقف نتيجة حالة إنفعالية كالخجل أو غيره كالخوف من سخرية الآخرين. إن مثل هذه الحالات لا تجعل يتطور ذاتيا. بل ستبقى مر افقة طيلة حياته إن لم يجد حلالها.

■ المجال الإجتماعي الثقافي: لدى بعض الأفراد؛ إتجاهات سلبية؛ وهي مؤشر سوء تكيف إجتماعي؛ نحو الأحداث والمواقف الإجتماعية، فنجدهم يميلون إلى التطرف أو نجدهم دائمي التشاؤم أو منسحبون ، كما يتصف بعض الأفراد بصفة عدم مشاركة أحزان الناس ؛ ولا حتى في أفراحهم؛ و القواعد الخلقية والعرفية و الإجتماعية تأسست من أجل حياة تشاركية وتعاونية بمفهومها الشامل. ومن هنا فالإتجاهات هي ملمح من خلاله نتعرف على الفرد ، نتعرف على رتبته في سلم القيم. كما يمكنها أن تعطينا تفسيراً على صحة الفرد النفسية وإن كان الفرد من ذوي فئة سوء المتكيف. وإن كانت مدرسة التحليل النفسي تبرر تلك السلبية على أنها آليات دفاع؛ يلجأ إليها الفرد؛ حتى يتجنب المواقف التي قد تجلب له المضرة أو القلق وغيرها. [VALÉRIE: 1996: P188]

■ في المجال الدراسي: فقد يتخذ التكيف أشكالاً أخرى. مثلا ولكر (1969) Walker أشار إلى أن إتجاه المتعلم نحو المادة الدراسية يرتبط بإتجاه المتعلم نحو المعلم. فكثيرا ما تسهم العلاقة بين المتعلم و

المعلم في التكيف الدراسي ، فكلما كانت هناك علاقة تجاذب قوية بين المعلم والمتعلم ؛ كان مستوى ميل المتعلم نحو المادة الدراسية لذلك المعلم قويا. [Pierre-H. Ruel - 1984-P251]؛ كما أن هناك أشكال أخرى معبرة لحالات التكيف أو سوء التكيف ومن بينها نذكر؛ حالات التغيب مثلا؛ عن بعض المواد الدراسية وهو يرتبط بذات المتغير كذلك. وإن كانت لها عواملها القوية الأخرى.

- في المجال النفسي المعرفي: أي ينتج عن غياب الفعل الإدراكي و الإنتباه و التركيز و العمليات الذهنية الأخرى يستحيل أن تتمثل المعرفية في أبنية الفرد المعرفية، كما يستحيل بلوغ مستوى الفهم.
- في المجال الأسري؛ بعض أعضاء الأسرة ؛ يعيشون تحت سقف واحد؛ غير أنهم فشلوا في إقامة علاقات أسرية متكاملة و منسجمة؛ و يسميها Williame Gooke في كتابه الموسوم " الأشكال الرئيسية لتفكك الأسرة " بأسرة القوقعة الفارغة. [أمينة جابر: د-ت : ص 45] وهي تشير إلى وجود خلل في نظام تلك الأسرة و أن يعبر كذلك عن حالة سوء تكيف. في حين توجد الأسر تتماسك في حالات الشدائد معتمدة آليات للتقليل من أثارها ، و كل أعضاء الأسرة ، يسهم بقدر من الجهد الفكري و العاطفي للحد منها ، في حين أن الأسر التي تفتقد لأواصر المحبة و التعاون غالبا ما تعصف بها الأزمة و
- قد تكون هذه الأخيرة بسيطة أي قد لا تحتاج إلى الكثير من الجهد و يكفي يتعاون أفراد الأسرة لحلها.
- التكيف الفلسفي الأخلاقي: التعامل مع المعتقد و الفكر بعقلانية دون المساس بالمقدس و إحترام الرأي الآخر
- في المجال العاطفي. فالفرد يحتاج إلى قدر من الذكاء العاطفي، يمكنه من مواجهة المواقف الضاغطة ، فالذكاء الإنفعالي؛ حسب نموذج كل من ماير و كاروسو و سالوفي (2000) هو: " قدرة الفرد على معرفة معاني الإنفعالات كالعلاقات الإنفعالية ، كالتفكير، كحل المشكلة على أساسها" و يحتوى هذا النموذج على أربعة قدرات. أنظر الشكل التالي:



الشكل رقم 2: نموذج كل من ماير و كاروسو و سالوفي (2000)

أنظر؛ (Mayer, jSalovey, PCaruso, D&Sitaraneos, G, 2001:235-237) (M, A. Bracckett, & P, Salovey, 2006:35)

ولا يفوتنا هنا؛ أن نشير؛ أنه توجد نماذج أخرى تناولت موضوع الذكاء الإنفعالي؛ ومنها نذكر.

➤ نموذج دانيال جولمان D.Golman

نشاط

لما أعتبر العلماء النفسانيون الذكاء الإنفعالي كأحد الأرقام الأساسية في معادلة الصحة النفسية بشكل عام و التكيف النفسي بشكل خاص. المطلوب منك إنجاز ورقة من خلالها تبرز كل من نموذج بار-أون-Baron و نموذج ماير Mayer و سالوفي ؟

ولما كان التكيف أحد أبرز المؤشرات الدالة على صحة الفرد النفسية بكل أبعادها؛ الأمر الذي جعل مختلف المدارس النفسية تتناوله ؛ وأنه كذلك؛ تصدر الكثير من الدراسات النفسية والتربوية و الإجتماعية؛ ولما كان كذلك ، فكيف فسرت النظريات النفسية التكيف؟